

# الشجاعة أثرها في الإسلام

بإستاذ محمد عرف



لو قيل لى أى الأخلاق الفاضلة كان له الفضل في ظهور الإسلام وانتشاره لما ترددت في أن أقول الشجاعة. فالشجاعة الأدبية والشجاعة الجسدية هما الدعامتان اللتان قام عليهما الإسلام،

وبفضلهما انبثق نوره في سائر الأرجاء؛ أو قل إن الشجاعة الأدبية والشجاعة الجسدية نوع واحد مرجعه إلى جراءة القلب، والاعتماد على النفس، وعدم الخوف من أحد؛ فإذا وجد صاحبها حقاً مهيناً نصره، وإذا وجد باطلاً عرماً خذله بجد اللسان أو بشبا اللسان

ولقد كان صاحب الدعوة الإسلامية أشجع الناس في قول الحق والجهار بما يعتقد، وبحسبك أن قومه كانوا يقدسون الأصنام ويرونها الحق الذي لا ريب فيه، والصدق الذي لا تحوم حوله شبهة؛ وكان يعلم أنهم يتعرضون لشبا السيوف وملافة الخوف عمامة عن أصنامهم وذبا عنهم، فلم يمتعه ذلك من أن يجهر بالحق وصب آهتهم، ويسفه أحلامهم، ويصيح في وجوهم: «إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب».

«ألم أُرَجِلْ بِمَشُونِ بَهَا أَمْ لَمْ أَيْدِ بِيَطْشُونِ بَهَا أَمْ لَمْ أَعِينِ بِيَصْطَرُونِ بَهَا أَمْ لَمْ أَدَانَ يَسْمَعُونَ بَهَا؟» . رياه الله على الشجاعة الأدبية والجهار بما يعتقد فقال له: «يا أيها اللدثر قم فأنذر وربك فكبر» . وقال: «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن

المشركين إنا كفيناك المستهزئين» . وقال: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» . وأبان له أن كتابان الحق موجب للمنة الله والناس «إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من بينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون»؛ فلم أن في العالم حقاً وباطلاً وخيراً وشرأ، وأنه يجب على الأنبياء والمصلحين أن يكونوا نصراء الحق والخير وأعداء الباطل والشر، وأن عليه أن يذكي هذه العداوة ويؤجج نارها حتى يديل الله الحق والخير من الباطل والشر . وكما كان صاحب الدعوة صلوات الله عليه المثل الأعلى في الشجاعة الأدبية، فقد كان كذلك في شجاعته الحربية أعظم مثل وأروعه، يدل على ذلك قول علي: «إنا كنا إذا حى البأس واحمرت الحدق آتينا برسول الله (ص) فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه . ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً»؛ ووقفته الخالدة يوم أحد ويوم حنين حين فر الشجاع وارتعد الصنديد أكبر مثل وأعظم برهان

ولقد ربي الإسلام المسلمين على الشجاعة وحبها إليهم وزينها في قلوبهم «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص» حتى جعل الجنة تحت ظللال السيوف، وما زال يريهم على الشجاعة والقوة والمنعة إلى أن صاروا فيها مثلاً عالياً وأمثالاً مرددة؛ ففرض الله عليهم أن يثبت الواحد لعشرة ولا يفر منهم، ثم خفف عنهم وأوجب أن يثبت الواحد لاثنتين ولا يفر الجيش من ضعفه «يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يعقون، الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله»

وكان من أثر الشجاعة في النبي وأصحابه أن عز الإسلام والسلمون وصاروا أمنع من عقاب الجو وجبهة الأسد، لا تلين قناتهم ولا يسلمون لمن أرادهم، فلم تضعفهم قتلهم وكثرة أعدائهم وكان للإسلام العزة والمسلمين التمكن في الأرض وكان أولو الأمر من المسلمين الأولين يحافظون على قوة نفوس

فيها ضمنت وذهبت منها معاني الرجولة من النشاط والقوة والحرم والعزم والاستقلال الذاتي؛ وإذا رفق بها وعملت باللين وأحسنت رعايتها عزت وعظمت وكان لها من القوة والعزة والشم القدر الذي تصلح به وتهدر على إصلاح من معها؛ فإذا علمت الأمة ذلك وراعته وكانت سياستها في الحكم والاجتماع والتربية سياسة رفق ولين في غير ضعف ولا خور اطرد تقدمها ورفقها.

أيها المسلمون :

إذا رأيتم أنفسكم متخلفين عن ركب المدينة فاعلموا أن ذلك منكم وما كان يقدر أن يفعل ذلك بكم أحد سواكم . ملك بضعكم بعضاً ملكة قهر وغلب ، واستبد بضعكم ببعض فأفسدتم نفوسكم وجردتموها من معاني العزة والقوة ومن مقومات الحياة الذاتية الثابرة ، فضعت الشجاعة فيكم وضاعت من بين جوانبكم ، وإذا فقدت الشجاعة فقد قُعد كل شيء ؛ ولو كشف لكم عن حقائق الأمور لرأيتم كل واحد منكم قد أخذ معوله بيده وأخذ يهدم جاهداً في نفوس الآخرين ، فالأب يقتل نفوس أبنائه ، والزوج نفس زوجته ، والمعلم نفوس التلمذ ، والرئيس نفوس الرؤوسيين ، وهكذا أصبح كل من له رعاية يستبد فيها بالآخرين وسيئ حكمهم ويقتل فيهم روح القوة والرجولة

أيها المسلمون :

إذا أردتم أن تساهموا في بناء المدينة الحاضرة فإني أوصيكم بواحدة : أن تبقوا على رجولتكم وشجاعتكم وذلك بأن تمدلوا في سياستكم وتحسنوا في رعايتكم ، فلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ؛ فالرجل راع على أولاده ، والرئيس راع على مرؤوسيه ، والحاكم على محكوميه ، والعلم على تلامذته . عليكم بالرفق في معاملتكم ، والإحسان في سياسة من تلون أمورهم ، والمحافظة على كرامتهم كما يحافظون على كرامة أنفسكم . ولتكن أثر الحكومات لديكم أرقبها بكم ، وأثر الرؤساء عندكم أعدلهم فيكم ، وأحب الناس إليكم من يحافظ على كرامتكم ومن يعمل على أن تكون نفوسكم قوية وأخلاقكم فنية . وليكن أفض الناس لديكم من يعمل على أن تكون نفوسكم مهينة وأخلاقكم خائرة ضعيفة ، واجملوا صديقكم من الكتاب من ينصحكم ويسمو بكم إلى آفاق الفضيلة والكمال ، واجملوا عدوكم منهم من يشكم ويستغل غمراكم الحيوانية ، ومن يقول لكم ويقول

السلمين كنيع لعزة الدولة الإسلامية ، وصلون أنهم إذا عاملوا الرعية بالقهر ذلوا لهم فذلوا لغيرهم ولم يكن فيهم غناء ، فبالنوا في المحافظة على روح المسلم أن تذل وكرامته أن تمهن ، بل جاوز ذلك غير المسلمين ممن تظلمهم الدولة الإسلامية برعايتها . ضرب ولد لعمر بن العاص قبطياً فبلغ ذلك الخليفة عمر بن الخطاب فأرسل إلى عمرو وابنه وقال : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ لا . بل لقد كانوا يفرحون إذا وجدوا في الأمة ما ينبي عن قوة نفس وشجاعة قلب وجرأة على قول الحق . خطب عمر بن الخطاب في خلافته فقال : « أيها المسلمون إذا وجدتم في أعوجاج قفص موني . فقام رجل من السلمين وقال : والله لو وجدنا فيك أعوجاجاً تقومناه بسوفنا ، فقال عمر : الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من إذا وجد في أعوجاج قفص موني بسيفه . وذلك مدى عناية الإسلام بالشجاعة ومدى ما كان لها من أثر في ظهوره وانتشاره

بل إن الحضارة لم تتقدم وإن المدنية لم تنهض وإن العلوم والمعارف لم تمل إلا بفضل الشجاعة يرى المصلح نظاماً فاسداً في المجتمع أو رأياً قاتلاً في السياسة فيشن عليه حرباً شعواء ، يظهر عيوبه ومساوئه غير مبال بسخط الساخطين وغضب الناقين ، ويستمر في حربه وجهاده حتى تصبح آمله في الإصلاح حقائق واقعة ، فينقذ الأمة من شر وبيل . ويرى العالم جهلاً قد جعل علماً وعلماً قد جعل جهلاً فيجهر بما يعتقد . يحارب الجهل ويشايح العلم ، فإن لم يكتب له الظفر في حياته كان لفكره النصر في مستقبل الأجيال .

وبهذا قلعت العلوم ، ونهضت الأمم ، وارتقت البشرية ، وذهبت أوضاع اجتماعية كانت داء وبيلاً ، وحل محلها نظم هي خير وأبقى .

فإذا رأيتم أئمة تروح تحت أنظمة فاسدة وعادات بالية فاعلموا أنها لم تعط للشجاعة الأدبية لقد التاسد من أنظمتها والباطل من قائلها فتخلت حين جد الركب وسارت القافلة .

على أن قوة نفوس الشعب وغلبة الشجاعة على أبناء الأمة أمر لا يأتي عفواً ، إنما هو نتيجة علم وافر وسياسة عادلة ونظام دقيق وإصلاح عام يتمشى في جميع مراقبها ؛ وأول شيء في سبيل ذلك أن يعلم أن النفس الإنسانية إذا استبد بها وأسيء الاحتكام